نجاح سراج

مسافات لم تُدوَّن

الكتاب : مسافات لم تكون

المؤلف : نجاح سراج

التاريخ 7/2006

رقم الإيداع: 2006/14723

الترقيم الدولى :977-407-018-6

رئيس مجلس الإدارة

محمد حامد راضى

تصميم الغلاف : حامد العويضى

العنوان والتليفون

٥ ش مصطفى طموم

- المنيل- القاهرة

تليفاكس ٣٦٥٥٤٨٧

الإهداء

إلى زوَادتي ....

حيث الخطى طرقٌ والمسافات مدنٌ

.....إلى والدَيَّ

الساعة الواحدة

كانت الساعة الواحدة

بعد منتصفِ العمر

في عوالم هذا الجنون

ورقًا أو كتابة

أمست الساعة الواحدة

جوف صرخةِ هذا الغد الهارب

تنصبُ موت الذين همُ

الآن في دورة الاحتمال

حقائق

أو ربما

هم خيال

أضحت الساعة الواحدة

بعد منتصف المعركة

خوذةً محترقة

ظلت الساعةُ الواحدة

بعد نفي الحقيقةِ

تخبر ليلَ الذين غدوا

يكتبون انتصارَ هزائمهم

بعقاربها

أنها شاهدٌ

خارج التقويم .

أناشيد لم تدوَّن

الجوقة

على حدودِ (ايصله) ١

تزدحمُ العواصم

محاكمُ التفتيش

الأشكالُ والألوان

الأوكارُ والأحلام

اللغات

الأقنعة

صوت ١

تقطرُ الهزائم

عزفاً بلا صوت

أوتارهُ

خيط من الموت

1- مدينة حدودية تركية يستخدمها المهربون للعبور إلى اليونان

صوت ٢

فوق شغاف الارتحال

تنطقُ العواطفُ الخرساء

صوت ٣

الهمسُ يخفي

في صدور الانتظار ظلّه

الجوقة

على حدودِ ابصله

قوافلُ المهربين

ترفعُ رايةَ الذين يغرقون

من سحب الذكرى دموعهم

وينشرونها على ملامح الطريق

رايتُها

بيدِ من لم يلغوا أسماءَهم

ويتركوا أوطانهم وراء قلبهم

ترفعُها على نُتُوءَاتِ البكاء

من حرارةِ الخوف

من وجع الدعاء

من صلابةِ الألم

من عزلة المدامع المنسيّة الفصول

في عالمٍ منحول

صوت ١

في حلكةِ الرحيل

تنكشفُ الأشياء دون ظلها

يصير جسمَ الليل

صوت ٢

هزائمُ الطرائق

صحراء دائرةٌ

مركزها أنت

صوت٣

الوطنُ الهاربُ محضُ جسد

الجوقة

على حدود (ابصله)

قوافلُ المهربين

تخبّر الأنهارَ والأمطارَ والعواصف

المراصدَ الخفيّة

الطرائقَ الحافية الخطى

الرحمةَ الفارغةَ الفاغرة

بأنها

تحملُ في ظهورها تاريخها

ودورةَ الذاكرة

من جسد الخرائط الملغاة

ومدن الحفاة

صوت ١

ينتظرُ الظلامُ والوحولُ والمراصد

خطىً .....

يبذرها الضياع

صوت ٢

هوادجُ المسافةِ الممكنة

تسير في ذاكرة الموت

صوت ٣

عوائلُ الذاكرة المشتّتة

قاطنةً خلف لسان الحوت

الجوقة

في ابصله

تسافرُ الأرواح

تطيرُ من عوالم الذكرى

وتسكنُ الوحوشُ في أجسادها

تطامن الرؤية حد الخوف

في مخبأ الهوادج المنسيّة

أغشية القلوب والأماني الكبرى

وتنحني حتى صفير الخوف

يقابل الهمس وصوت الريح

في حلم الطفولة الصغرى

صوت١

طلاقُ درب الأمس عن غد

يعقد في طرائق التيه

صوت ٢

براءةُ الأطفال دمعةٌ

فوق خريف الكون

تحمل حزنَ الصمت

صوت ٣

التيه أرغفةٌ

تقطنها الكهوفُ والأشباح

وحدائقُ العفن

الجوقة

في ابصله
تجتمع الأجناس
تنطرح الألوان
تنتشر النقائض
في نقطةٍ عارية
وترسم الرياح
ملحمةً من قزح الأرواح
تعانق البراءة النشيد
تصعّد النشيج
فتمطر الهياكلُ المخبوءة
الأحلام
سحائبَ الترحال
وتشطب الدوائرَ الدائرة
في عالمٍ ينحته الخطاب
والقبلة الكامرة

صوت١

نريد لونَ الكون
تلبسه روائحُ النشيد
نرفض لون الكون
تلبسه أقنعة الحديد

صوت٢

نرفض حبلَ الموت
وعالماً ينام كالنعامة
ومارداً يحلب صدرَ القوت

صوت٣

نريد أن نكون
فوق بساط الريح
فوق عضال العالم التمثال
عالمنا الكسيح

طيور مهاجرة

الطيورُ المهاجرة

فقدتْ ريشها....

واستعارتْ زخارفَ

من حامد الآمدي*

دُفنتْ

بعد موته

جنب مئذنةٍ

صامتةٍ

---

* - خطاط تركي

حامد الآمدي

يتركُ القبر

يدخلُ الغرفة

يمسك المحبرة

فارغة...

يمسك القصبة

نخرة.....

تنحني روحهُ خارج هيكله

تأخذ العظم من قفص الصدر

وتحده بالشفقة

ثم تبدأ في خط ...

الطيور المهاجرة

فوق مصطبة الذاكرة

يجلس الآمدي

حزيناً ....

باكياً من عيون الحروف

التي هجرتها

ألسن المدنْ

للزخارف ينتحب

ثم يحلم

بالطيور المهاجرة

نوافذ

1

النوافذُ

تَهمي المخاوفَ

تفقأ

عينَ الدليل

وتشربُها الأرصفةَ

2

النوافذُ

تَسكب ضوءَ الصدى

نقطةً في الفراغ

شريطاً يلفّ المسافات

يطوي الخطى

3

النوافذ

تسكنها مدنٌ من خضاب

ويدٌ تركت قوتها للذئاب

وعلى جلدها وشمُ الأرغفة

4

النوافذُ

ليل....

منسبكْ

في رمال الخيانة

والمجرمون تماثيل

للساسة الحالمين

5

النوافذ

محضُ خيال.

وفي وسعها دورة الممكنات تدورُ

ويبقى على عينها الاحتمالُ

حقائق منقلبة

6

النوافذُ

في جانبيها مدنْ

المساء يطاردُ أحلامها

والملاجئُ خيط عواء

7

النوافذ

في مداخن هذي العصور

رحلة للضمير

أو ....

سقطة في الصميم

8

النوافذ

عقدُ الإشارات والقبل الراعفة

والطلاقُ الأخير

في المطارات

عند الرحيل

9

النوافذ

مفتوحة في النهارات

مغلوقة دائماً في المساءات

وستائرها

منخلٌ حالكٌ

ثقبته النجوم

10

النوافذ

في المحكمة

خلفها رئة

ودفاتر لم تدخل التاريخ

بل أدخِلت مقبرة

خُط في بابها

ها هنا تدفنُ الخونةُ

11

النوافذ

محضُ خرائط

لأراض وقارات

رُسِمت في الخيال

12

النوافذ

رصدٌ بدائي

13

النوافذ

لحظة قطع حبال الولادةِ

مفتوحة للصدأ

14

العيونُ نوافذ ضيقة ، واسعة

والنوافذ عينٌ على عالمين؛

عالم الفكرة الباطن

عالم السقطة الراهن

15

الهروبُ نوافذ مقفلة*

من .....

عالم الذاكرة*

16

كل ذاكرة نافذة

خلفها يمسك المرءُ

خيط البداية ؛

البدايةُ نافذةٌ

جنبها عالمان ؛

عالمٌ محتمل

عالمٌ مستحيل

17

إنما العمر نافذةٌ

لمعاني التصوّرِ في العالم الراكدْ

كتبٌ شاحبة

أو صورٌ كاذبة

18

النوافذ

نظارة للجميع

19

الخداع نوافذ فنية للسراب

والسراب خداع مشاكس

متستر بالشمس

20

النوافذ

سفر .....

زاحفاً لأراجيح

الطفولة

والبطولة

21

دائماً ، دائماً
النوافذ وقتُ المساء
تسكبُ الأزمنة
فوق حلم النساء
وعند الصباح
تولد الأمكنة

22

النوافذ
في السجن شكلٌ
هندسيٌ
للقيود

23

البريدُ إلى العالم الآخر
من نوافذ نزف القتيل
يبدأ الرحلة الخالدة

24

حينما تثقب البندقية صدرَ القتيل
تقيئ النوافذُ
موتته الباردة

25

البريءُ يرى عنقه
خلف نافذةِ الحلم
تحملُ العالمَ الطفلْ

26

الشهادة نافذةٌ
عرضُها
السموات
والأرض

27

الحروبُ نوافذُ
مفتوحة للعفن

28

السلامُ نوافذ في القلب
يفتحها الحب
للآخرين

29

الحدودُ نوافذ مصنوعة
في سجون العواصم

30

العماء نوافذ
مرسومة بالسواد

31

النوافذ للموت مفتوحة للأبد

استنبول

إستنبول

روضةٌ من مساجد

سبخةٌ وطلاق

تنحتُ الجوعَ خبزاً

والقلوبُ صحارى

وكل المنائر

ترفض هذا الكمين

لوقتٍ صلاة

ووقتٍ سكارى

الوجوه رمالْ

والعيون دوائرُ منقلبة

والشفاه كؤوسْ

بالمدامع منسكبة

والرجال تناثيرُ من شهوات

شعلتها مفاتنُ استنبول

ومراقصُ من أعظم الباشوات

والنساءُ اللواتي قدمنَ بحري المياه

ليعرضن خلف زجاج النوافذ

شهوتهنّ ، يفطرنها من أناملهنّ

على قهقهات العبيد

استنبول

النساءُ كثيرة

استنبول

الفتوحاتُ فيك ، قبور كثيرة

والمؤرّخ يكتب عند مروره فيها

وهرويه منها ؛

بدأ الفتحُ

لمّا أعادت يدُ التركِ

جانبها الغربي

يصمت ....

ثم يستأنف :

يُسلب الفتحُ منها

حينما دخل الفجر

قسمها الشرقي

استنبول

الفتوحات رمز

والحلول عسيرة

الفتوحات نزف

والدماء غزيرة

قالت العارفة

والهزائمُ مفتوحة

خلف أبوابها

والمدائنُ خائفة

والقلوبُ خرائبُ فيها

ذئابُ التمرد والانحلال

استنبول

الطرائق تنهشُ وجهَ الرياح

تمصُّ الخطى

تستبيح الدليل

عاصفٌ وصدى ورحيل

وترابُ التمرد يطنُ ؛

أن البطولة تبدأ

بالمستحيل

استنبول

ترسلُ الحاكمين

بالشوات

لصوصاً

والتواريخ تكتب أنهم المصلحون

كذبتْ

قالت العارفة

سور بغداد يشهدُ

أن التواريخ مرقوعة

والملاءة من عنكبوت

استنبول

الهزائم نسوة ليل الملوك

والفتوح هزيلة

بيديك طريق الرحيل

والدليلُ قتيل

صور محتضرة

حينما يختفي قدرٌ

عن مصير عواصم

خانتْ طفولتها

وقضاء

عن براءة أمس

يسجن الهمس.

المسالكُ وجه نساء

والبيوتُ ملاجئُ للخوف

بعضُ مساء

ينحت الهاربون

مصيرهم المستكين على صخرة الممكنات

والرحيل ....

قاطعٌ وخيول

بين جنبيه

يشتعلُ الامسُ بالذكريات

وتطيلُ الدروبَ الوحول.

النفي دمعةً

شربتها صحارى الخطى

والدليلُ عواصفُ للتيه

والأماني عصافير

تبحثُ عن مَلجأ تستقيء إليه.

العواطف جنب الرحيل

خاتن وقتيل

دنانيرُ طين

ومحضُ خيال

والضميرُ انتحال.

العواطفُ طاعنة بمخاوفها

سكنتْ في عيون الدليل

وفي يدها

رحلةٌ فاشلة

وعلى رأسها رايةٌ من رياح

لونها ....

سقطة القافلة.

اليقظة حلم منفي

في كل يوم

بعد دخول الليل

إلى فضاء ابصله

يخرجُ ناظم1

من قبره المنفي

ويدخلُ القبر الذي يضم نيقوس2

ويخرجان

في يديهما حزمة أوراق

---

1 - الشاعر التركي ناظم حكمت

2 - الشاعر والروائي اليوناني صاحب رواية "المسيح يصلب من جديد"

ويجلسان

على الحدود يكتبان

قصيدةً عارية الأوزان

مسرحيةً بلا فصول

ورواية .....

مفتوحة النهاية.

قبل خروج الليل

من فضاء أبصله

ينسحبان

لعالم الأموات

وينقلان

ما كتبا.

بين ناظم حكمت

ونيقوس

ملحمةٌ

بدؤها الانتهاء

ونهايتها الابتداء

وبينهما

مدن صدئة

وصحارى

وأقنعة

ونجومٌ مبللة

تتساقط رمداء

من أرخبيل البكاء.

بين ناظم حكمت

ونيقوس

قلمٌ ودواة

وأصابعُ تهصر ثوبَ الكتابة

فوق تراب القصيد

فيولد طين

ولوحٌ مضيء

يلاصق بالأبجدية جبهة رودس*

لافتة للرحيل

لونها امرأةٌ من عويل

وشيءٌ من الذكريات

والخطى الضائعات.

---

* جزيرة يونانية

خلف ناظم حكمت

ونيقوس

خيطٌ ....

حائكٌ ....

ومرايا ....

وبينهما

طرقٌ ....

ومهرّبٌ ....

وضحايا ....

وأمامهما

مقلّ

فقدتْ دربَها

وأعارتْ

إشارتها للطريق.

مقابلة

في(كشك بازار*)

رأيتُ نخلة

هاربة

تاريخها البداية

وعمرها النهاية

قالت:

هويتي عشتار

سومرُ حرفي ومقالي جلنـــار.

---

* منطقة في استنبول مكتظة بالسكان

سألتها:

جوابها:

تموز

سألتها :

من أين ؟

جوابها :

من برج بابل

أقطــرُ التاريخ من أسنة المناجل

كي يبدأ الآن

وينزع الأكفان عن أيقونة

مسلة .....

حضارة .....

تورّدت في رملها العقول

واهتزت الجنائن المعلقة.

رأيتها صراخ

ترتشفُ المدينة

دموعَها

وماءُ استنبول

مرتبكٌ

لأنها

طينتها ....

دمعتها ....

قد نزلتْ

من تربة الأصيل

تحاور المكانَ والزمان

وتعزف الرحيل.

اكسراي

في (اكسراي*)

تزدحمُ الأضداد:

شرطة ....

مهربون ....

وهاربون ....

---

* منطقة في استنبول

في اكسراي

معادلة

منقلبة

يمينها ؛

مساومة...

سماسرة...

لصوص....

يسارُها ؛

هارب ....

خائف ....

ضحية ....

في اكسراي

الهارب ....

منكشف

لأنه محاصر

جبهته تدلـّهم عليه

لأن كل رغبةٍ يرشفها

تسوقهم إليه

لان كل فرصةٍ يحملها

لابد أن تأخذ من يديه.

شرطيّ اكسراي

ذو فراسةٍ

تقطـرُ الهروبَ والرحيل.

هنـــاك

تحت إيوان(فاتح*)

رغبة من خيال

وأخرى

بسمة للمحال.

تحت أقواس فاتح

مُدَّ خيطُ حريق

خلفه الهاربون

يرقبون

صفقةً

وخطىً

و طريق.

---

* منطقة في استنبول تزدحم بالمهربين والهاربين والشرطة

من نوافذ فاتح

طلّ المساء

على مدنٍ من صفيح

على خيطِ ريح

وسجادةٍ من

نساءْ .

أرجوحة

الطريقُ مقابر

والبقاءُ احتمال

وبيني وبينك

الخيانةُ عاهر.

الحياة مسارٌ وأنت

تدور على نقطة من خيالٍ ، تدور

وتحرث حلمك من ورقٍ صار مقبرةً للمقال ،

ستسكب أنت المسافات أغلفةً ، هل ستشرب

روحك كأسَ الفراغ ، وتملؤه مقلاً

من دموعٍ ؟ فقل :

الفراغ أنا

الضياع أنا

والمجاهيلُ تعرف أني نقاط على

بقظةٍ من ورق . والضياءُ يرى إصبعي ومخاً

للإشارات ، يعزفُ بين الضلوع أغاني

النهايةِ ، قلْ :

المـــــدارُ دليلي

والدروبُ خطاي.

وخطُّ الدموع مساري على شهقةٍ تشتهي

موتها ، أنثرتَ المحاصيلَ فوق الشتاتِ ؟ ولمّا يزل

قلبكَ الغضّ يبحث عن كوةٍ وخليلٍ ويرقبُ عبرَ خيال

الدروبِ مداه ، ويوماً برينا تحنطهُ الذكـــريات

وكفاً عليه نمـــت سعفةٌ ، قلْ :

إرتعاشةُ لون القتيل ردائي

أيا نخلةً خانها الأقربون ...

وفرّت على تربة المستحيل ، يفتشُ

عن ملجإ جذرُها، والملاجئُ مقبرةٌ، حطبٌ للرحيل ،

أيا قطرةً رشّها الكاتبون على ورق من رمالٍ

وتاهت تفتش عن شكلها ، قلْ :

ابتسامة هذا الوجود خداع

أيا نخلةً خانها الأقربون ...

فكل الذين يدقون رايتك القرمزية
في ساحة الفصل أو وَجَع الذكريات ، هم الآن
ينكرُهم ماءُ وجهك ، بين مناجل تلبسُ شيبَ الحصاد ، وتنكر
كفاً هوتْ في الرماد ، فهل تستريح ؟ سؤالٌ على حَطبٍ
والجوابُ حريقٌ ، وكل النوافذ سُـدّتْ ، تدلّتْ إلى الأرض
أقفالُها ، يوم شاهدك الكاتبون ، تشفّ رحيقَ المكاتب
حين خبرتَ السطورَ تفتش عن نقطةٍ
ضيّعتْ حرفها ، قلْ :

ارتعاشة جفن الثكالى خواتي
أيا نخلةً خانها الأقربون ...

احتسيتَ المنافي ، وأنتَ تغادرُ
خيط التمني ، وأنتَ قبابٌ يغنّي المساءُ
لها ، وشحَ الأمهات اللواتي قعدنَ عصارى
الفراغ ، يدغدغ أصواتهن الأصيل ، ويعرفنَ
أنّ النوارسَ يوماً تموتُ على خيمةٍ من دخان ،
تنوح تغادر أعراشَها ، قلْ :

الطفولةَ صوتُ خطاي

والشبابُ فراغ

والعجلةُ سيري

ولحظةَ شهقِ الوداع

خرائط مأواي.

ستجيءُ قوافلُ من مدنٍ ، خبزُها

الحلمُ والحلمُ أطفالها ، مدنٌ تشعل الأرقَ المستطيلَ

إلى خافقيك قوافل ، تجعل أفقكَ لونَ مرايا ، ترى

عسساً نائمين ، وحراسَ شكل البغايا طباشيرَ

بين أصابعَ فحمٍ ، فسلْ :

كيف تعلم

أن الدروب تخونُ

إذا خانت القافلة.

الرفاقُ صحارى العيون ، تموجُ

وترضعُ من مقلتيك المرايا ، تموج وتزرع

في خافقيك الكهولة ، أين الشبابُ ؟ ستسألُ يوماً

بياساً وعودك، منذ الجماجم صارت منازل للخوف ،

دارت وبستّ حليبُ الحياة ، لانّ الرفاقَ على خرقةٍ

رفعوا فوق رأسِك سيفَ مخاوفهم ، ومصاحفهم

وجهُها للخيانة مفتوحة بعد ان بايعوك على

حبهم . خرجوا يطلبونك للسيف طعماً ،

فكيف تريد الطرائقَ تصدق

حين يخون صدى القافلة ؟

الحدودُ مقابر

والسرابُ انتحال

وبيني وبينك

الخيانة عاهر.

حياة مواطن عادي

بعد ولادته

منحوهُ هويّة

في العقدِ الأول

رسموا له عقله

في العقد الثاني

ساقوه جنديًا

في العقد الثالث

منحوه شرفَ الحزب

في العقد الرابع

خُوّنَ واختـــُفي

في العقد الخامس

نشروا خبر

إعدامه.

أيها السومري

المنى محضُ روح

والمنافي جسد

تتسابقُ بينَ طريق الجحيم ، وبينَ

جحيم الطريق وتركع قهراً بلا قبلةٍ ، ومصيرك

يلثمُ فمّ الفراغ ويلبس وجهَ الرحيل ، وينزعُ وجهاً تثقّبه

الدمعّ ، للأماسي تحّن ، وأنتَ تحّن إلى عالم الذكريات ،

هناك تركتَ صداك ، وروحكَ ، كيف تريدُ

الرحيلَ بديلاً ، وكل الدروب عــواء ؟

دعْ خطاك تعبر

وقفةً ، وسكون

فالمسير خؤون.

كان دربا معارا ، يدشّنه المستحيلُ ، هزائمُ

ذاكرة الممكنات ، الكوابيسُ ، تعرفهُ نقطة ، نقطةً ، ترتديه

خطاك ، منكَ ، رؤاك . غجريّ النسيج عليكَ ، وأنتَ تزفّ إليه

رصافةَ حبّك ، قلبك ، كي يستطيل عليه مسيرُك . وطريقُـك :

دجلة ، قمّ ، طرائق فاتح* ، رودس ، روما ، زيورخ ....

كان حبلاً ، نشرت عليه الرحيلَ فما كان في مقلتيك

سوى صرّة من خيالٍ ، فقدتَ الكلامَ ورحتَ تفتش

عن حرفه في شفاه السنين ،

ألا تسترح؟

خلفك الآن خيطُ رحيل

بدايته وطن

والنهايةُ دربٌ طويل.

---

* مدينة في داخل استنبول

أيّ زقورةٍ يا أريدو ويا أور مولدها بين

قوس الرحيل مضاعٌ ، يفتش عن أمّةٍ تحت رمل

الهزائم ، فوق المساء الطويل الموزّع فوق الخورنق

بين السدير ، وأيّ ترابٍ أيا برج بابل ، غيرك أعطى

لسومرَ لونَ المحاريث والقمحَ والخصبَ ثم هوى بعد

ألف ، ورسمهُ مازالَ يعطي الوجودَ الكتابةَ،

في كل أنشودةٍ وترٍّ سومري

برجُك النفي والحزنُ

والانتظار

برجُك الملجأ المستعار

تحت إيوان (فاتح). كنتَ تقتاتُ من أمسك

الذكرياتِ ، ملاجئ روحك ، علّ نوارسَ ذكراك

تأخذ عينكَ يوماً إلى بلدٍ في الخيال ، يحنطه المفطرون

بمزّةِ ذاكرة النخل ، فوق مناضد منقوشة بالفتوح.

وقبّــهم مرأة غجرية. زيّنتْ شفتيها دماً ،

أيّ فتح لهذه يا أيها الوطنُ السومريّ

البلادُ بذاكرتك

محضُ روح

والمنافي جسدْ.

ثلاث أمسيات

حركة

أمسية الأمس

قادته منسأته إلى المنصّة وغنى*
قصيدة من القريض

أمسية اليوم

حُمِل من كرسيّه إلى المنصة وألقى
شعراً من الحر

أمسية الغد

اختاره الرحيلُ ـ لم يحضرْ
وفي صميمه
شعرٌ من النثر

---

* الشاعر العراقي عبود الأحمد النجفي

لقطـــــة

في بداية بابِ (الكـُزر*)

خلف كرسيه المتحرك

شاهدتـُـهُ

خلفه شاعران

ينشدان

قصائدَ

أو

هذيانْ

---

* سوق في مدينة قم الإيرانية يصل به الكثير من العراقيين

عندَ منتصفِ (الكزر) الفوضويّ

فاجأتــه ثلاثة أفواه

كاتبٌ

صحفيٌ

ولِصٌ

ضحكوا

قهقهوا

سخروا

ثم خلفه سخروا ...

نهايةُ بابِ (الكزر)

وقفوا ساعةً وحكوا

عن :

- سقوط القصيدة حين يموت النخيل -

اسم ديوانه القادم

عند ذاك

لم يكن غيرُ كرسيّه المتحرك

خلفه شاعرٌ

قارئٌ عنه

مسودةً لم تكتمِل.

استجواب شاعر

في غرفته

سألته:

اخرجَ من وسادته

ما يشبهُ القصاصة

وصرخ :

رؤيتي ستكتمل

سألته :

انشغلتْ يداه

وكشفتْ

ما يشبه اللفافة

قال :

خانتني الحروفُ والقصيدة

لم تكتملْ

ســـألته :

استلَّ من قميصهِ حزمةَ أوراق

وهمستْ عيناه

ما يشبه الحديثَ عن ملحمةٍ

سألته :

استلَّ من ضماده

من رجلهِ المنبترة

مقطوعةً

مسودّةً

أو

خرقةً

وصمتْ

ســـألته :

بكى ولم يجبْ

ســـألته :

التحفتْ عيناه غابتين من دخان

فخرجتْ.

التمثـــــــال

المنطقُ الصحيح

حين يموت مصلحٌ

أو شاعرٌ

يُبنى له تذكار

تمثال

أو مزار.

المنطقُ الغريب

حين يكون حاكمُ البلاد دكتاتور

تعلو تماثيل له

تشيرُ للقبور.

من أروع الأشياء

حين يرى المواطن

مسقطَ دكتاتورهِ

التمثال

في ساعةِ النزال

تسكنهُ الأشباحُ والظن.

في بلدٍ معتق بالخوف

لمارق يوزّعُ الموت

يستنسخ التمثالُ في الشوارع

تمثاله الممقوت.

من يدخل العراق سائحاً

ويكمل التجوال

يسجل الخروج في الذاكرة ؛

لم أخبر الحضارة العريقة

بقدر ما شاهدتُ فوق الأمة الغريقة

تمثالَ دكتاتور.

من التماثيل الكثيرة

لحاكم العراق

نفهم أن الرأي

ينكرُ لونه

ويفقدُ المذاق.

من المسائل الطريفة

أن نشهد الآلهة القديمة

مجدداً

تصاغ في تمثال دكتاتور.

حين يموت الرأي

وتخنق الإرادة

ستكثرُ التماثيل.

معنى التماثيل

لحاكم ما زال حيّ

شرطة ترقبُ الحي.

الجندي

حينما مسكوا عنقَ موطنك
كتبوا في هويتك :
الجهاتُ بنادقُ نحوك
والخطى مستحيل
أين مهربُك ؟
والطريقُ قتيل.

في عقودٍ كثيرة
في حروبٍ مريرة
وضعوكَ على أرقِ السيفِ
في فوهة البندقية
والمدى خيطُ موت
خطوة للوراء
الوريدُ نبيح
خطوة للأمام
الكمائنُ ريح
والمسافاتُ حبل دماء
والبكاءُ دعاءُ النساء
وهنّ مناديل يمسحن روحك.

أمك الآن واقفة

في لهيب المدائن

هي مثلك راعفة

والهروبُ كمائن.

أينَ تمضي لكي تستريح ؟

والمنافذُ قاتمة

والبيوتُ مقابر

تنتظر الرجفة الصامتةَ

وضعوكَ مع الأهل درعاً للدبابةِ

لمكاتبهم

لهزائمهم

ولعوراتهم

ودعابتهم

أتساقُ

كما التّرب في شهقةِ العاصفة ؟

أنتَ تدري

جميع المسالك مرشوشة بالرماد

والجهات حصاد

والمحاجر تشربُ من دمعها

والعيون رقاد

والبقاء صحارى من الأمنياتِ

وجلد الطرائق جدريّ

من ثقوب القنابل

والسماء إلى الأرض خيطٌ من الموت

والمقابر ...

تتوالدُ دون قوابل

والضمائر قَيحْ

ودمامل ....

إنها ساعةُ القَيح والأوبئة

أتفتـّش عن نسمةٍ خلف

أوسمةِ الكذب والأقنعة ؟

دائماً ، دائماً

يقذفونكَ للحربِ

للمحرقة

دائماً ، دائماً

لستَ شيئاً

سوى سلّمٍ من خضابٍ

إلى الحكم

يعتلونك

دائماً ، دائماً

لستَ شيئاً

سوى حنظل من دساتير خمرتهم

يبصقونك

إنها فترة القبح والأوبئة

إنها لطخة الطاغية

إنها في هويتك :

الجهاتُ بنادقُ نحوك

والخطى مستحيل

أينَ مهربُك ؟

والطريقُ قتيل.

لقطات بَصَرِيّة

لقطة ١

في بلدٍ مختنق الأنفاس
تزوره الحربُ
امرأة طلتْ من الجُب
وحيدةً
أثقلها الدمع
أبناؤها
سالوا كما الشمع
وحينما لوّحت اليدين للزوار
شُدتْ كما الوليد
على عمودِ الموت
وأصبح الرصاصُ في بدنها
المشعّب الأقواه
مقبرة الفوت.

لقطة ٢

خرجتْ من كمائن موتٍ رصاصيةٍ
من مدائن نسيت فمها
امرأةٌ
فقدتْ
رئةَ الرأي

رفعت قلبها للكتابة
تروي من الضفتين
حمائم حُب
وشيناً من الشمس
للوطن المستباح ....
حينما
شوهدتْ
لم ترَ الوطنَ النخل من عينها
بلْ رأته
من ثـــقوب الرصاص
وفي عنقها
شهقةٌ صامتة.

لقطة٣

قُربَ ثقب الرصاص

صرخ الغدُ في موتها :

في يديك الوطن

شاحباً لونه

أي حرفٍ يخونك

يفقد الآن حبره.

الحرب

حينما تبدأ الحرب

يبتدئ الموت

حينما تنتهي الحرب

يبتدأ الموت.

مرة مرة

مسرحُ الحرب

خشبة

من عظام الضمير.

عندما يحكمُ الأرض

طاغية

ستكونُ الحروبُ

سيوفَ الرب.

ربما ربما

حكمة الحرب

شعلة وشرارة

حينما يحكمُ الطاغية

وطناً

وحضارة.

دائما

حينما تشرعُ الحرب

تفتحُ الأرضُ أبوابَها

للضحايا.

الحروبُ

أصابعُ محروقةٌ

ومدائنُ من قلق

وخيوط من الكذبِ

والانفصال الطليق.

مَرّةً مَرة

الحروبُ

طرائقُ ملغومةٌ

ومبادئُ من ورق

وعيون ...

تركتْ وجهَها للحريق.

مرة

الحروبُ

طريقٌ إلى جنة الخلد

وسلام للمجد.

حينما

يحكم الوطنَ الفذ

طاغية

ستكون الحروب

مسرحاً للجميع.

الحروب خيوطٌ

من الدمع والشهقاتِ

تخيط الثكالى

بها

سقطةَ الأمنيات.

مونولوج

الرجل

- أنا

ظله

- تموت في خنادق الأنا

لأنـــه

لأنه

يمزق المراحل المنقلبة

ورعشة خطت بها العجائز

تعويذة الرجوع

في سلطته المرتابة

لأنه أدرى

حقيقية الدخان والحرائق

تجاهلوا قدره.

لأنه في ساعة منخسفة

يخرج الآلهة من أحشائه

ويطعن الزمان في ساعته

المنكسفة

لأنه أسرى

لافتة

تغيض من أزمنة السياط

والزنازن

قد حفروا قبره.

لأنه

من لحظة الولادة

لموته المفاجئ

رأى بدفتر الخفاء

خطوته

وحارساً يقرر المصير

قد طبعوا في صدره بطاقة الرحيل.

لأنه

أراد أن يسير في طريقه وحده

لأنه

تفاخر الإنسان في داخله

مقلداً رشده

تقاطر القضاء والقدر

يمد في طريقه نعشه.

لأنه

أقرب

من شعلة الشمس

لأنه

أبعد

من مسمع الهمس

تطفأت في صدره النفس.

لأنه

أعلى

من هامة النخل

لأنه بيت

للحب والرفض

لم يبك لحظة

في قبضة الحبل.

لأنه حرف

مكفن الصوت

اغتاله الموت.

منفاي

منفايَ قوتي
دون قوتٍ أو طبق

منفايَ رأس أغبرّ
طلت عيونه
من شبابيك الأرق

منفاي آخر نبضةٍ
دقت على وتر المشاعر
في ترقيم الشفق

منفاي عري الغصن
عري البصمة الحبلى
بأعراق الغسق

منفايَ فخ للحنين
رواية الحب الغريب
دون حبر أو ورق

منفاي

بدء السجدة العمياء

فوق الشفرة العمياء

في شوق تكلس وانسحق

منفايَ

ذاكرة معطلة

وحلم محترق.

الفهرس: الصفحة

الساعة الواحدة ٧
أناشيد لم تدون ١١
طيور مهاجرة ٢٣
نوافذ ٢٩
استنبول ٤٥
صور محتضرة ٥٣
اليقظة حلم منفي ٥٧
مقابلة ٦٥
أكسراي ٧١
هناك ٧٧
أرجوحة ٨١
حياة مواطن عادي ٨٩
أيها السومريّ ٩٣
ثلاث أمسيات ٩٩
التمثال ١٠٧

الجندي ١١٣
لقطات بصرية ١٢١
الحرب ١٢٧
مونولوج ١٣٣
لأنه ١٣٧
منفاي ١٤٣

صدر للشاعر:

- الحافلة / قصص / دار كيوان ـ دمشق ٢٠٠٣
- أبجدية الصور / شعر / منشورات بابل ـ بغداد ـ زيورخ ٢٠٠٤
- نحت قزحي / شعر / منشورات بابل ـ بغداد ـ زيورخ ٢٠٠٥

البريد الالكتروني للمؤلف :

najahseraj@hotmail.com

القصائد

كائنات مسافرة

كتبت في مدن خارج لغة الضاد

ولأنها دونت بحرارة التجربة ، فقد منحت صاحبها دفئا

رغم برد الكلمة